بين عصرين

للشاب الاديب يوسف غصوب

عصورٌ تقضّت وعصرٌ بدا فتلك المَغيبُ وذا المشرقُ
وعادت الى النور سُبلُ الهُدى وكان الظلامُ بها يحدقُ
حروبٌ تُشيبُ الفتى الامردا وذو البطش من هولها يفرقُ
تُديرُ على الناس كأسَ الرَّدى فيشربها البِضُّ والاحمقُ
تمشّى الحِمامُ بها سيّدًا وغير المَدافع لا ينطقُ
عويلُ اليتامى لهنَّ صدًى وقلبُ النساء لها يخفقُ
وقد خدّدوا الحزنَ والفدفدا فيتلو بها الخندقَ الخندقُ
فكم من عروشٍ هوت واعتدى عليها عدوٌّ لها ازرقُ
وذو التاج اصبح لا يُنتدى وقد ذُلّلَ التاجُ والمفرقُ
وكم من (سَديرٍ) رمَتهُ العدى وكم خرَّ فوقَ الثرى (ابلقُ)
وكم من دموعٍ كقطرِ الندى على وجنةٍ بالاسى تُحرقُ
ومرّت وفي الافق فجرٌ بدا بهاء الرجاء به يبرقُ
فيا طيرُ قم في الضحى مُنشدا فانت بحُرّ الغضا مطلقُ
وبشّر بعصرٍ جديدٍ غدا رجاء البلاد به يعلقُ
فيا وطني كن منار الهدى وكُنْ مُشرقًا انتَ يا (مَشرقُ)

اعظم طامّة في الحرب العامة

نظر اجمالي في الحرب الاوربيّة الاخيرة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

اعتادت مجلة المشرق في سني حياتها قبل الحرب ان تلخّص لقرّائها مجمل الحوادث التي تجري كلَّ عام. وكأني بهم يطالبونها بالعود الى خطّتها بعد الحرب العامّة التي ذاقوا مُمَضّها ولعنوا آفاتها فرغبوا ان تُروّى لهم احداث تلك الملاحم التي شابت لها رؤوس الصغار وناءت باهوالها عواتق الكبار

لعمري انّ رغبتهم هذه في محلّهـا وهي واجب لازب علينا لا سيّما بعد ان حجبت عنّا تركية والمانية الانباء الصادقة وموّهت علينا الاخبار بالوَلس والدَلس وضروب التزوير حتى كنّا نيأس من النجاة

ولكن يا تُرى كيف تسطير وقائع هذه الطامّة العظمى التي لا تحيط بوصفها المجلّدات الضخمة بل امكننا لو جُمع ما كُتب عن شؤونها الى اليوم تأليف مكتبة واسعة . هذا فضلًا عمّا تبرزهُ اقلام الادباء كلّ يوم من تفاصيلها المدهشة

ومن ثمّ ليس بوسعنا ان نجيب الى دعوة قرّائنـا الّا بحصر الموضوع في حدود معلومة وذلك بذكر اهمّ الامور التي وقعت في مدّة هذه الحرب فنجعلها كأنصاب يستدلّون بها على خطوات الدُول المتّفقة المؤدّية بهم الى الانتصار النهائي . فجعلنا هذه المقالة كصورة جامعة يراها الطيّار من علُ اذ يحوم على المنـازل فيشمل بنظره ما تحت اقدامه . فكذلك يلمّ القرّاء بأجزيات الحرب اجمالًا كما ستُصفّى وتودع في بطون التواريخ المدرسيّة

ولتقريب الموضوع الى ذهن القرّاء نقسمهُ الى قسمين نذكر في اوّلها خلاصة اعمال الدول المركزيّة نفرد لهُ مقالة هذا العدد . ونؤجّل للقسم الثاني مقالةً اخرى نروي فيها اخبار الاتفاقيّين وانتصارهم النهائي

القسم الاوّل : الدُّول المركزيّة

١ المانية

لا ريب انّ المانية كانت قطب هذه الحرب وركنها الاعظم فيجب تقـديم الكلام عنها . واوّل ما يلزم قولهُ في ذلك انّ امبراطور المانية غليوم الثاني كان فاتح وتاج هذه الحرب وابنَ بَجدتها مهما حاول بعد ذلـك ليتنصّل من تبعتها والمسئوليّه عن سبقهِ اليها

عرف غليوم انّ الفرنسويين بعـد الحرب السبعينيّة لم يكونوا ليرضوا بانسلاخ ولايتي اللورين والالزاس عن وطنهم وانّهم عند سنوح الفرصة سيطالبون بحقوقهم حتّى في ميدان الوغى . لكنّ فرنسة في السنة ١٩١٤ كانت بعيدة عن تلك المطالبات

مشغوفةً بسياستها الداخلية المضطربة. فظنَّ غليوم انهُ اذا ناجزها القتال قبل نهضتها سحق تلك الدولة سحقاً فتصبح المانية في مأمن من كلّ عدوّ وتصير اليهِ السيطرة في اوربَّة والحكم الفاصل بين الامم

وكان غليوم يستمدُّ لهذه الحرب منذ السنين الطوال استعداداً من شأنهِ ان يُظفرهُ بامنيَّتهِ. فكان سعى طاقة جهدهِ مدَّة ملكهِ ان يرقّي بلادهُ الى اوج الحضارة في الصناعة والتجارة والفنون المختلفة والوسائط الاقتصاديَّة نافخاً في صدور رعاياهُ آمالاً ومطامع تبعث فيهم رغبة التسوُّد على العالم اجمع. فكان شعارهم الذي يردّدونهُ ليلاً مع نهار: المانية سيّدة الكل (Deutschland über alles)

ثم لم يدع القيصر غليوم وسيلةً للانتصار الّا تذرَّع بها من عَدَد وعُدَد كالاسلحة والذخائر الحربية المتوفرة وادوات التدمير في البرّ والبحر وفي اعماق الارض وفضاء الجوّ مع وفرة المراكز الحربية والخطوط العسكرية من سكك حديدية وطرق عرّبات لتعبية الجيوش العرمرمية بوقت قليل فضلاً عن درس خوارط البلاد المنوي اقتحامها. وكان تدريب الجنود الالمانية منذ سنين عديدة جارياً على نظام واحد وفقاً لأرقى الفنون الحربيّة بحيث تصبح كل الافراد طوع بنان قوّادهم الكبار يطيعونهم الطاعة العمياء. لا يحيدون عنها ذرَّةً فيطحنون كل ما يقوم في وجههم

ثمَّ اهتمَّ الامبراطور الالماني بان يبثَّ روّاداً من ثقات اصحابهِ وطلائع من اهل دولتهِ في بلاد العدوّ لا سيما فرنسة ليجسّوها ويطلعوهُ على كلّ شؤونها. وقد بيَّن المسيو لاون دوده (١ في كتابهِ المنون «ما قبل الحرب» الذي طبعهُ سنة ١٩١٠ انَّ الالمان كانوا أنشأوا في فرنسة وبالخصوص في النقط العسكريَّة مشروعات لا تُحصى منها فنّيَّة ومنها صناعيّة ومنها تجاريَّة مزجتهم بالفرنسويين مزج الماء بالراح فاحاطتهم علماً بكل المنشآت الفرنسويَّة بل زاحموهم فيها ايَّ مزاحمة. وكانوا يسرعون الى كشف اسرار الفرنسويين للعامل الالماني وقد امتصُّوا بمشروعاتهم ماليَّة فرنسة وعرَّضوها لاكبر الاخطار عند انتشاب الحرب وانسحابهم منها

ومما اتخذهُ القيصر غليوم من الذرائع لعقد النصر في اعلامهِ استنادهُ في معظم دول اوربَّة الى ملوك وملكات وكبار امراء واميرات من قرابتهِ كانوا جالسين

١) هذا اسمهُ Mr Léon Daudet: L'Avent-Guerre, *Paris*, 1910.

على عروشها منهم ملك رومانية كارل وملك بلغارية فرديناند وملكة اليونان صوفيا وامبراطورة روسيّة الكسندرا وملكة سربيًا دراغا وقرينة ولي عهد الجبل الاسود الدوقة جنًا . فكانت تلك الرشائح الاهليّة وسيلة تسهّل لغليوم تنفيذ مآربه السياسية عند اصحاب تلك الدول فلم يدّخرها تفوتهُ ومن ثمَّ ارسل اليهم غير مرّة سفراءهُ ومعتمديهِ منهم علانيةً ومنهم سرًا ليستطلع طِلْعهم ويتشوّف اخبارهم ويعرض عليهم المساعدة على نوال ما يتمنّون من السلطة والاملاك على شرط ان يحالفوا المانيا او يتهدّدوا بالحياد في حربٍ لا محيد عنها اذا طرأت

وقد نشر في لندن مدّة الحرب احد اعيان الالمان لم يصرّح باسمهِ كتاباً بالانكليزيّة فصّل فيهِ مخابرات القيصر غليوم مع الدول ممّا وقف عليهِ لتقرّبهِ من الامبراطور ولاستخدامه كاحد المتوسطين في تلك المخابرات منذ عشرين سنة . وقد نقل الكتاب الى الفرنسويّة المسيو هنري بونه فطبعهُ سنة ١٩١٦ واثبت صدق كاتبهِ (١ فتفاصيل هذا التأليف تدلُّ على طمع اشمئ وسياسية خرقاء ضحّى غليوم في سبيلها كلّ ضمير ووجدان لم يكترث في جانب الحق لا لوعد ولا أيمان ولا معاهدة أيّة كانت لتوثيق سلطانه على اوربة وادراك غايتهِ عملًا بذلك المبدأ الفاسد « الغاية تقدّس الواسطة » الذي نُسب زورًا لليسوعيين فزيّفناه (المشرق ١٧ : ٤٢٣)

وقد ثبت مؤخّرًا ان الامبراطور غليوم خدع القيصر نيقولا وجرّهُ الى معاهدة سرّية خفيةً عن حليفتهِ فرنسة وذلك في ٢٣ تشوز ١٩٠٥ . وكذلك حمل بتركية على معاداة فرنسة وانكلترة بمواعيد عرقوبية كدّ مصر اليها ووضع الجزائر ومراكش وطرابلس الغرب تحت حكمها . وربما حرّك القيصرُ غضبَ الفرنسويين في عدّة مواقع وخصوصاً في اغادير والجزيرة وكازابلنكا حيث تداخل في امور لا تعنيهِ تجبّرًا وادّعى بحقوق باطلة ورجاؤهُ ان تُعلن فرنسة الحرب فيسحقها . لكنها صبرت على الاهانة واجتهد رؤساؤها في استرضاء القيصر وتخويلهِ انعامات خاصّة واعطائهِ قسمًا كبيرًا من مستعمراتهم في كونغو

١) دونك اسم الكتاب Les dessous de la Politique en Orient par un Allemand, *traduit de l'anglais avec Préface par* Henry Bonnet, *Paris*, 1916

وكما سبق ملك المانية الى إعداد الحرب كان ايضاً السابق الى مباشرتها وذلك اذ ساق النمسة حليفتهُ الى إعلانها لسربية اخذاً بثأر وليّ العهد فرنسوا فرديناند لمّا اطلق عليهِ وعلى قرينتهِ النار في سراجيفو غرافلو برنزيب احد الطلبة السربيّين من الاشتراكيين في ٢٨ حزيران ١٩١٤. وكانت النمسة اشترطت على سربية شروطاً قاسية رضيت بها الّا مطلبَيْن احالتهما الى مجلس التحكيم فجنّبت الدول عمل الرب واتّفقت على اقناع النمسة بالرضى عنها. وكاد الخلاف ينتهي سلماً لولا المانية التي كانت توعز الى حليفتها سرّاً باعلان الحرب كما ثبت من عدّة دلائل وهي تتظاهر بتفضيل السلام. فكان ما كان وتمّ الخطب

دخل فرنسوا جوزف ودولتهُ في حرب جرّت الى اقتحام حومتها تباعاً تسعة اعشار اوربّة فانّ اعلان النمسة بالنفير العامّ لمحاربة سربية في ٢٨ تمّوز ١٩١٤ علّل استدعاء روسية الى مثلهِ للدفاع عن نفسها وعن جارتها في ٣١ منهُ فكان فعلُ روسيّة داعياً الى اعلان المانية الحرب لروسيّة في غرّة آب ثمّ اعلنتهُ لفرنسة بناء على واقع لا صحة لهُ وهو ضربُ بعض الطيّارين الفرنسويين بالقنابل مدينة تورنبرغ المفتوحة في ٣ آب. وفي اليوم عينهِ تجاوزت الجيوش الالمانية حدود البلجيك لتُباغت فرنسة في شمالها وتفتح لها سُرعةً طريق باريس. واذ تصدّى لها البلجكيّون وذكّروها بمعاهدة سابقة امضاها الامبراطور غليوم نفسهُ لم يكترث الالمان لتلك العهود بل لم يخجل كنشلير الالمان دي بتمان هولوغ ان ينعت تلك المعاهدة الموقعة رسمياً بامضاء القيصر « بقطعة ورق لا طائل تحتها » فقامت بلجكة لمناهضة الالمان وتبعتها بريطانية العظمى حاميةً عن الحقيقة. وهكذا في اقلّ من اسبوع باشرت الحرب ستّ دول اوربيّة اربع بينها من الدول العظمى

ساقت المانية الى هذه الحرب عدّة ملايين من جنودها المدرّبة على فنون الوغى فوجّهت قسماً منها الى پولونية الروسية وقسماً حفظتهُ لردّ غارات روسية على تخومها الشرقيّة. لكن القسم الاكبر البالغ ازيد من مليون ألّفت منهُ تسعة جيوش في ٤٤ فيلقاً دفعت بها لمحاربة فرنسة

وكان الفرنسويون حصّنوا ثغورهم الشرقية دون الشمالية لظنّهم ان الالمان لا ينتهكون حمى بلجكة ولكسمبورج المتحايدتين فساء ظنّهم فاندفعت اليها تلك

الجيوش كالسيل الجحاف لا تاوي عناناً ولا ترعى أيمانا فدخلوا البلادين رغماً عن احتجاجها. وقد تشرّف البلجكيّون بالدفاع عن وطنهم وكفاهم فخراً أنهم بتضحيتهم كلّ نفس ونفيس اوقفوا نحو اسبوعين كلّ قوّات الالمان فامكن الفرنسويين بذلك الوقت ان يحشدوا الى الشمال قسماً من جيوشهم مع ما انضمّ اليها من الجنود الانكليزيّة فزحفوا الى محاربة الالمان: الفرنسويّون في شرلروا والانكليز في مونس عند طرفي بلجكة الى حدود لوكسمبورج

اصطدم الفريقان في تلك الهيجاء يطلب كلاهما النصر او موتاً شريفاً وقد ظهر من مخوة الفرنسويين ما لم يكن في حساب اعدائهم مدّة ثلثة ايّام ليلًا مع نهار غير انّ قوّات الالمان كانت اوفر عدداً واقوى اسلحة واتمّ نظاماً فانتهت تلك الواقعة في ٢٣ آب بانتصار الالمان وتقهقر الفرنسويين والانكليز. لكن الجنرال جوفر كان عارفاً من اين تؤكل الكتف فامر الجنود المنكسرة في شرلروا بالرجوع الى خطّ دفاعي ثانٍ كان اعدّهُ عند نهر المارن فتمّت اوامرهُ في اواخر آب واوائل ايلول فاصبحت هناك كالبناء المرصوص. ولمّا حضر الالمان بخيلهم ورَجلهم تحت قيادة الجنرالين فون كلوك وفون بولوف في ٣ ايلول مؤملين انتصاراً سهلًا وفتح طريق باريس الواقعة على مرحلة واحدة وجدوا من المقاومة ما ملأ قلوبهم دهشاً وحنقاً وتمكّن الفرنسويون بحسن نظرهم وتدبير الجنرال فوش وهمّة الجنراليسة دوبايل وكستلنو ومونوري وغروستي ليس فقط من كسر شوكة الالمان ولكن ايضاً بردّهم مقهورين مكسورين الى ما وراء نهر المارن. فكان هذا النصر الباهر فاتحة الانتصارات التالية للدول الاتفاقية وسهماً جارحاً في قلوب الالمان الذين كانوا سبقوا فبشروا بدخولهم الى باريس بعد مضيّ نصف الشهر واستعدّ القيصر لدخولها ظافراً برونق لا مثيل لهُ فخاب املهُ وثبت عند الدول انّ المانية قابلة الفشل ليست كما زعم اصحابهم حليفة كلّ ذعر ورقي كما ان جنودهم اضطرّوا الى الخروج من مدينتي رِمس واميان بعد ان خربوا قسماً من ابنيتهما واطلقوا مدافعهم على كنيسة رِمس الكاتدرائية التي تُعَدّ من أعظم واجلّ الآثار الهندسيّة القوطية الراقية الى القرون الوسطى المنبئة باصول الامّة الفرنسويّة فنفر العالم المتمدّن من هذا العالم الهمجي

ثمّ حاول الالمان تغيير خطّتهم فحملوا جيوشهم الى جهات البحر ليحتلّوا مدينة

كالهُ مفتاح البحر والمركز الحربي فاستولوا في طريقهم في ١٣ ت ١ على مدينة ليل ثم في ١٤ على انفرس ثم بروج ثمَّ اوستند واستعدُّوا لفتح مدينة ايپر على نهر ايزر فلا يبقى في وجههم عائق للسير الى كاله . وكان الامبراطور الالماني جمع هناك ١٥ ألاية من المشاة وأربعة من الخيل وبشَّر بدخوله القريب الى ايپر في غرَّة ت ٢ . فحدثت عند نهري ايزْ وايزر قريباً من كُسود معارك مهولة تتابعت مدة شهر كامل اسفرت في ١٥ ت ٢ بفوز الاتفاقيين تماماً على الالمان الذين ارتدُّوا خاسرين بعد ان فقدوا في مستنقعات نهر ايزر نيفاً ومئة الف من جنودهم . وفي تلك الاثناء فقد الالمان مستعمراتهم باستيلاء الانكليز والفرنسويين عليها واحدة بعد الاخرى

فتحقَّق الالمان انَّ ما حلموا به من سحق فرنسة كان من اضغاث الاحلام ومن ثمَّ التجأوا الى الخنادق ليحفظوا ما احتلُّوهُ من اراضي فرنسة وبلجيكة وحشدوا معظم عساكرهم الى جهات الشرق لمحاربة الروس حتَّى اذا انتصروا عليهم يكرُّون راجعين الى فرنسة . وهذا هو الطور الثاني من الحرب العامَّة فاضطرَّ الفرنسويون ان يحتفروا كاعدائهم الخنادق ويتحصَّنوا مثلهم وانما حصلت من وقت الى آخر مناوشات متعدِّدة لم تكن قاضية لكثرة التحصينات الواقفة في وجه الفريقين . وهناك استعان الالمان بالمدافع الضخمة وبالزمَّانات ذات المواد المتفجرة او الغازات السامَّة المنتنة فعاملهم الفرنسويون بالمثل وطالت هذه الحرب الخندقية ثلاثة اعوام كان امل الالمان ان يُعال صبر الفرنسويين فيهيجوا بثورة على وطنهم فما افلحوا

وأخصُّ ما جرى للالمان في النصف الاوَّل من سنة ١٩١٥ حملاتهم على ولايتي ارتوا وشمپانية زحفوا اليهما بفيالق متعدِّدة وتقدَّموا قليلاً في بعض الاماكن لكنَّهم لم يستطيعوا فتح سواسون كما شاؤوا وفقدوا حصن بوسيجور بعد ان قُتل منهم عشرة آلاف جندي . وحصلت ايضاً في فصل الشتاء معارك محلِّية في الأرغون ولورين والڤوس اظهر فيها الالمان والفرنسويون مع الانكليز كل ما تكنُّهُ الصدور من البأس والشجاعة فكانت الحرب سجالاً الَّا انَّ الفرنسويين قهروا اخيراً اعداءهم بحميَّتهم وحبِّهم لوطنهم اذ كانوا يمشون للقتال وهم يتغنُّون فرحين كانهم يسيرون الى عرس او عيد ويحاربون كالاسود الواحد بازاء ثلثة او اكثر من العدوّ . ثم تكرَّرت في الصيف محاربة الالمان لتلك الجهات ففشلوا فيها كما في الشتاء

ومما اضعف الالمان في فرنسة وبلجكة اضطرارهم الى مقاومة الجيوش المسكوبية في بروسية الشمالية ومساعدة حلفائهم النمسويين في غاليسية فارسلوا اليها جيوشاً عديدة ليوقفوا سير العدوّ

ثمّ دخلت السنة ١٩١٦ ومعظم القوّات الالمانيّة تحت قيادة هندنبورغ مشتبكة في محاربة الروس الذين تقدّموا ظافرين في جهات النمسة وبروسية الشمالية . فحاول وليّ عهد المانية وأحد قوّاد جيوشها الكبار ان يخلّد اسمهُ بفتح مدينة ڤردون فهجم عليها بكل بطاريّاته وقوّاته . وبعد ان تجاوز بحلة ظافرة التحصينات الاوّلية دخلت جنودهُ في حصن دُو أُومْنت المعدود كحجر الزاوية لتلك المدينة التي هي كترس باريس ومجنّها

فتنفّست الالمان بفناء الظفر وكاد العالم ييأس من خلاص ڤردون لكنّ القائد الاعظم جوفر ارسل الجنرال كستلنو وخوّلهُ كلّ سلطان للدفاع عن المدينة . فدعا كستلنو الجنرال پيتين وسلّمهُ قيادة الجيش فسدّ هذا كل خلل واوقف الالمان فكرّروا حملاتهم دون جدوى حتى بلغت هذه الحملات في يوم واحد ١٧ عدًّا وبات العالم في دهش من سطوة الفرنسويين الذين كذّبوا ما حلم بهِ وليّ عهد المانية من الظفر فقاوموهُ طول سنة ١٩١٦ وفي النصف الاوّل من السنة ١٩١٧ فألجأوهُ الى مبارحتها في شهر تموز ليردّ غارات الفرنسويين والانكليز في مقاطعة سُوم حيث انكسر الالمان كسرةً عظيمة وأُسر منهم فوق المئة الف وقُتل ضعفا ذلك . وقد سطّرت وقائع ڤردون للفرنسويين في بطون التواريخ مجدًا مخلّدًا حتى انّ الاميركيين كتبوا وقتئذٍ : « انّنا كنّا نحبُّ الفرنسويين قبل مواقع ڤردون امّا بعدها فقد ملأُوا صدورنا عجباً من بسالتهم » وسار المثل بين الفرنسويين «ان من لم يشهد معارك ڤردون الجهنّمية لم يعاين شيئاً من الاهوال»

وقد تعزّى الالمانيّون نوعاً من فشلهم في الغرب بما نالوهُ من الظفر في جهة الشرق فانهم بعد الانتصارات الاولى التي افتخرت بها الجيوش الروسيّة في بروسية الشرقيّة وغاليسية في سنة ١٩١٤ ثم ١٩١٥ الى اواسط آب أسرعوا الى مناصرة حلفائهم النمسويّين فردُّوا غارات الروس وكسروا او اسروا أربعة فيالق منهم في آخر آب واوائل ايلول لكنّ الجنرال ڤنكسيف تمكّن من تعزيز الجيوش الروسيّة فاخرج

الالمان من بولونية الروسية وبقيت غاليسية في حوزة الروس بل فتح الفرانسوق نقولا مدينة لمبرغ في ٤ ايلول وسار الى محاصرة برزمسل

لكنَّ الالمان بعد خمود غارات جيوشهم في الغرب وجَّهوا الى الشرق قسماً كبيراً منها ففتحوا مدينة ڤلنا ثم مدينة بنسك ولم يكتفُوا حتى ضايقهم الفرنسويون في شمپانية فسحبوا ثانيةً جنودهم من الشرق الى الجهات الغربية فتقوَّى الروسيُّون بغيبتهم على النمسويين بحسن تدبير الجنرال بروسيلوف وأسر منهم مئات الوف. لكنهُ احتاج بعد ذلك الى ذخائر حربية واخذت الثورة تتهدَّد البلاد وتقسَّمت الكلمة بين القيصر وحاشيته وظهرت معاداة الاحرار الدولة. وصار قسمٌ كبير من الجنود الروسية باغراء الالمان يطلبون الصلح فقُضي على القيصر نيقولا بان يتنازل عن عرشه في ١٦ آذار ١٩١٧. فانتهز الالمان فرصة الفوضى في روسية لفتح ريغا ثم لمحاربة كرنسكي ممثل السلطة المنظمة واستندوا الى البلشفيكس او المكسيالست الذين خانوا وطنهم وقتلوا القيصر نيقولا واسرتهُ ورموا دولتهم العظيمة في هوَّة الشقاء ومعظم الآفات التي لم تنجُ منها حتَّى الآن

وفي السنة ١٩١٨ أعدَّ الالمانيون زحفات جديدة ظنُّوها القاضية على فرنسة فوجَّهوا اوَّلاً اسطولاً من طيَّاراتهم حلَّق فوق باريس فرموا عليها ١٤ طنًّا من المواد المنفجرة فقتلت او جرحت ٢٥٥ شخصاً. ثم حشد الجنرالان لودندرف وهندنبورغ ١٨ فيلقاً من الجند فسارا بهم هاجمين على الفرنسويين والانكليز كصرح من حديد واضطرُّوهم الى القهقرى في نواحي پيكردية وفلندرة وفتحوا عدَّة مدن وكادوا يخرقون صدر الجيوش المتآلفة لولا الجنرال فوش الذي خلَّص الانكليز ملبياً دعوة الجنرال دوغلاس هايغ وهو يصرخ الى ذويه: اثبتوا قليلاً فها قد اتاكم الفرنسويون. فكان وصولهم فوز الاتفاقيين في « مون كتل » ثم عاد الالمانيون بقوَّات جديدة وبغتوا الاتفاقيين على غير انتظار ففتحوا سواسون وشاتو تيـاري في اواخر ايَّار واوائل حزيران ١٩١٨ والحديد والنار في حوزتهم واضحت باريس معرَّضة لقنابل مدافعهم واستعدُّوا لقطع نهر المارن فكان هذا النهر عثرةً ثانيةً في طريقهم وفاتحة كسرتهم الاخيرة فهناك اشتهر فخامة الجنرال فوزو الكوميسار الاعظم الذي رأيناهُ بقدومه في ظهر انيتا وسُرِرنا بمشاهدته مكلَّلاً بتاج الظفر وهناك ايضاً حاز

الجنرال فوش بانتصار لا مثيل في صفحات التواريخ القديمة وذلك في ١٨ تمّوز ١٩١٨ واستحقّ ان يُنتصب الى رتبة مارشال . وكان هذا الانتصار مدعاةً لانتصارات قانونية متتابعة الى اوائل تشرين الثاني . وفي التاسعة منهُ خرج غليوم هارباً من بلادهِ الى هولندة وفي ١١ منهُ انتهت الحرب باعلان الالمانيين رسميًا لكسرتهم وسقوط المانية العظمى

ولم نتتبّع هنا مشروعات المانية ومساعي جيوشها المرعيّة لمساعدة بلغارية بعد ان اقحمتها في ميدان الوغى وكيف عضدت تركيّة في كلّ ساحاتها الحربيّة برًا وبحرًا في البحر الاسود اوّلًا بواسطة بارجتَيها غِبِنْ وبرسلو ثمّ في الدردنيل وفي حملة سويس وفي جهات العراق لا سيما كوت العمارة واخيرًا في جهات الاردن وفلسطين . فانها كانت الآلة المحركة لكلّ هذه الوقائع ونفخت في الاتراك روحاً جديدة افازتهم ببعض الانتصارات على انّها انتهت كلها بفوز الدول الاتفاقيّة ما عدا الدردنيل حيث ردُّوا الاتفاقيّين بالخيبة

ومِمّا تمنّتهُ المانية محاربة الاساطيل البريطانيّة لتدمّرها فجرت معركة اولى بحريّة في جزائر فنلندة في ٨ ك ١ ١٩١٤ بين الدولتين كانت انكلترة هي الفائزة فيها . ثمّ فازت في موقعة ثانية في جوتلند في ١ حزيران ١٩١٦ . وكانت الموقعة الثالثة في هليغولند اعظم شأناً في ١٩ آب ١٩١٧ . أُصيبت الدولتان بخسائر عظيمة ونسبت كلّ دولة الانتصار لذويها

ومِمّا جعلت المانية عليهِ املها العظيم غزواتها التي الحقت بسفن اعدائها خسائر عديدة لا سيما بتدمير السفن التجارية . وقد أُصيبت انكلترة من هذا القبيل بضربات اشدّ واقسى من سواها فمن ذلك تدمير البارجة همبشير التي كان ركبها اللورد كتشنر فغرق معها . وكذلك السفينة الكبرى لوسيتانيا التي تلفت معها ارواح كثيرين من علية الاميركيين وكانت من اسباب دخول اميركة في الحرب في جانب الاتفاقيّين

٢ النمسة

كانت النمسة في الظاهر اوّل مُضرمة للحرب الاوربيّة باعلانها الحرب لسربية كما سبق الّا انّ الامبراطور فرنسوا جوزف بقي مدّة يتردّد في مباشرتها حتى

ساقتهُ اليها مطامع المانية. فدخلت الجيوش النمسويّة في سربيّة واستولت على بلغراد مرّة اولى وثانية وكان السربيّون يدافعون عن وطنهم دفاع الابطال ومع قلة عددهم انتصروا عليهم غير مرّة واستردّوا عاصمتهم الى ان ارسلت المانية مددًا لحليفتها فتغلّبوا عليها

وغاية ما يقال في النمسة مدّة هذه الحرب انّها كانت كالسيّارة في فلك المانية تدور حولها وتجري باشارتها. وقد نالها من الآفات والشدائد ما لم ينل المانية نفسها اذ دخلت الجيوش المسكوبيّة في تخومها في غاليسية والمجر وتمكّنت على بعض حواضرها ومدنها المحصّنة كلمبرغ وستانسلاف وبرزمسل الى ان ارسلت المانية الى نجدتها قسماً من جنودها فكبحت سَورة الروس

وكذلك حاربتها ايطالية سنة ١٩١٥ فاصابت بعض الفوز في مواقع ايزنسو ومقاطعة ترنت. وطالت هناك الحرب حتى امدّت المانية حليفتها بجنودها فاندفعت كلتاهما لمحاربة الايطاليين فتجاوز جيوشها التخوم الايطاليـة واحتلّت قسماً من الاصقاع البندقيّة الى ان أُخرجت منها بمساعدة الاتفاقيين وفوزهم الاخير

وكان الذي ضرب الجيوش النمسويّة الضربة القاضية الجنرال الفرنسويّ فرنشه دِسيره فانّهُ انقضّ في تشرين الأوّل سنة ١٩١٨ مع عسكرهِ وعسكر العرب على النمسويين انقضاض العُقاب على فريستهِ فمزّق جيوش الاعداء شذر مذر في وقائع متعدّدة لم يقم بعدها لهم قائم

ومن الحوادث الحريّة بالذكر وفاة الامبراطور فرنسوا جوزف بعد ٦٨ سنة من الملك على النمسة والمجر توفّي في اواسط تشرين الثاني ١٩١٦ فلم يكن لموتهِ تأثير كبير فقلبت جلبة الحروب وصدى المدافع على زفرات الباكين على ذلك الشيخ التاعس الجدّ المنكود الحظ. وكان هذا الامبراطور رجلًا تقيًّا محبًّا للخير ساعياً ما وراء مصالح بلادهِ الّا انهُ وُجد في ايام صعبة فقامت في وجههِ مشاكل لا تحصى مدّة ملكهِ الطويل ضاق بها ذَرْعاً فنالهُ منها ضربات أليمة هدّت قواهُ

وقد خلفهُ في ملكه نسيبهُ كرلوس الاوّل فلم يألُ جهدًا في صون بلاده من شرّ هذه الحرب لكنّ عاتقهُ ناء تحت هذا العبء الثقيل فذهبت في تيّارها دولة الهبسبورغ بانتصار الاتفاقيين على الدول المركزيّة واضطرّ الامبراطور الجديد

الى تقدمة استفانو فتقسّمت دولة النمسة اقساماً عادت الى عناصرها المتباينة كبولونية والمجر والصقالبة كما كان المنتظر منذ زمن طويل. وقد أعلن الباقي منها استقلالهُ والّف جمهوريّة خاصّة

٣ تركية

من أطلع مدّة الحرب على الجرائد المحليّة المحرّرة باقلام الاتراك واصحابهم او المرتشين بالهم ظنّ انّ الدولة العثمانية عادت الى عصرها الذهبيّ في أيام السلطان الغازي محمّد الثاني وسليمان القانونيّ ولم يعلم انّ نهضتها الاخيرة انّما كانت نهضة « الرجل المريض » وبعثة الشيخ المحتضر الذي ينتعش قليلاً قبل ان يجود بنفسهِ فيظنّ من يراهُ انّ الحياة عادت الى جسمهِ فينخدع بالظواهر

والحقّ يقال انّ ما ظهر في تركيّة في زمن الحرب من الجأش انّما كان بقيّة حياة كامنة ابرزتها قبل وفاتها بل قلّ ان المانية بثّت في ذلك الجسم البالي نسمة من الحياة فكانت لا تزال تنفخهُ فيها باركان حربها وضبّاطها وذخائرها الحربيّة مع رجائها ان تبعث العالم الاسلامي الى الجهاد فأصمّ الاسلام آذانهُ عنها

والى هذه المساعدة الالمانية تُنسب خصوصاً المآثر التي تفاخر بها الاتراك في الدردنيل والقفقاز وسويس والعراق وفلسطين فلمّا أُصيبت المانية بجرحها القاتل عند نهر المارن في تموز ١٩١٨ تزعزع صرح الدول المتحالفة فكان لسقوطها دويٌّ عظيم وسقطت تركيّة في وقت واحد في كلّ ساحات الحرب في اوربّة وآسية. واسرع الى الفرار أولئك المجرمون الكبار انور وجمال وطلعت وعزمي وكان اكبرهم اثماً انور باشا محور السياسة التركية الخرقاء الذي قلب بدسائسهِ دولتهُ وكان مع جمعيّة الاتحاد والترقّي أُلعوبةً في ايدي الالمان وقد ذهبوا معهم ادراج الرياح. امّا دولة بني عثمان فانها بعد وفاة سلطانها محمّد الخامس رشاد العاجز في آب سنة ١٩١٨ صارت الى السلطان محمّد السادس الذي لم يبقَ لهُ من الملك الّا اسمهُ ومن السلطة الّا ظلّها

٤ بلغاريه

هي الدولة المركزيّة الرابعة التي دارت في فلك المانية كان دخولها في الحرب في ١٣ ت ١ سنة ١٩١٥ فكان الامر داعياً لمدافعة الفرنسويين والايطاليين عن

حلفائهم سربية ورومانية واليونان في جهات البلقان فحصلت هناك مواقع عديدة في سالونيك ومقدونية . وكان لفرنسة في كل هذه الوقائع البلاء الحسن فعزّزت جيوشها سربية بعد كسرتها في سنة ١٩١٥ ثم انشفت عنها في السنتين ١٩١٦ و١٩١٧ لما قام البلغار باعمال حربية مهمّة في البلقان . ثم تجاوزوا حدود اليونان ورومانية بمساعدة الالمان والنساويين تحت قيادة رئيس أركان حربهم الجنرال ساڤوف مصحوباً بالجنرالين الالمانيَّين فون ستوبن وفون شولتس

وقد طالت الحرب والبلغار يبلون فيها احسن بلاء لكنّهم عرفوا في اثنائها مطامع الالمان ومواعيدهم السريّة تارةً لهم وتارةً عليهم فنفروا منهم . على انّ البلغار لم يزالوا يتظّون الفيافي ويجتازون المراكز الى اواسط السنة ١٩١٨ فعزم الجنرال الفرنسوي غيليوما ثمّ فرنشه دِسبيره على قطع دابرهم مهما تكلّف الفرنسويون من الضحايا فزحفوا اليهم زحفة الأسد الرئبال مع قلّة عددهم بالنسبة الى الاعداء وبهجمات متوالية واصلوها مدّة ١١ يوماً (١٥ ايلول الى ٢٦ منهُ) احلّوا بهم بأسهم وقطعوا نظامهم واضطرّوهم الى طلب الهدنة في ٢٦ ايلول فكانت كسرتهم فاتحة الغلّبات التالية حتّى طلبت تركية بعدها الهدنة في ٣١ ت١ ثمّ النمسة في ٣ ت وآخرها المانية في ١١ منهُ وعاد العالم الى سلامهِ (لهُ بقيّة)

الوهم في الحيوانات والحشرات

وحبهما الغريزي لنسلهما

نظر للاب اسكندر طوران اليسوعي

قد اطنب الشعراء ومصنّفو الروايات في ذكر ما تكنّهُ قلوب الأمّهات لاولادها بل الحيوانات لصغارها . فكم تصفّحنا من القصائد الشائقة والمقالات الرائقة في حنان الدجاجة على فراخها والطير على اولادها . تأمّل مثلاً زوجاً من الحسّون وراقب حرصهما على جمع ما يعثران عليهِ في الطرقات او بين الدغل والاشواك من نُسال الصوف ونُتاف الريش ونُثار القطن ليوثّرا مهداً لنسلهما عند مولدهِ بعد ان